التربية السكانية في فلسطين

ملاحظات على الجغرافيا والتاريخ في الكتاب المرجعي

صدر في الآونة الأخيرة الكتاب المرجعي «التربية السكانية في فلسطين» ، وذلك بإشراف مركز المناهج في وزارة التربية والتعليم، وقد تمت عملية الإعلان عن إتمامه في وزارة التربية والتعليم يوم ٢٠٠٠/٤/٢٥، وحضر ذلك عدد من المهتمين والمدعوين من قبل مركز المناهج. وفي هذا الصدد لم يمنح الحضور الفرصة لتناول الكتاب حيث ضيق الوقت من جهة! ومن جهة أخرى لم يتوفر الكتاب بمتناول الحضور والمهتمين سوى في القاعة، ولهذا لم يأخذ حقه في المراجعة والنقاش، ولكن تم التنويه من قبل القائمين على إصدار الكتاب بإمكانية إرسال الملاحظات عليه للجهة المشرفة. وهنا لن أقوم بمراجعة الكتاب بشكل كامل لأسباب عدة منها عدم اطلاعي عليه من فترة زمنية كافية، وكذلك لحاجة الموضوع إلى التخصص المحدد لمن يقوم بمراجعته والتعليق عليه، ولكنني كمهتم، سأتناول قضايا منها الخلفية التاريخية التي تمتد على مساحة الصفحات من ٣ إلى ٧.

مما لاشك فيه أن القائمين على الكتاب قد عانوا كثيراً في التخلص من مأزق التعريف بفلسطين، وهذا يظهر في الخلفية الجغرافية التي تستخدم (الأراضي الفلسطينية) كقاعدة توضيحية لفلسطين، مع تحديد هذه الأراضي بقسمين: «الضفة، والقطاع» . فموقع الأولى في الجزء الشرقي الأوسط، والثانية في الجنوبي الغربي من فلسطين التاريخية، التي قسمت وفق ذلك إلى مناطق ثلاث (شريط السهول الساحلية الغربية، شريط الجبال، وشريط الأغوار) وهذا «لفلسطين التاريخية» . ومن أجل التدليل على شرعية الاستخدام للفظ «الأراضي الفلسطينية» تم الاسترشاد بما تطلقه دائرة الإحصاء المركزي على الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن هنا تبنى الكتاب قاعدته التعريفية التي تستند إلى إجراء الإحصاء والمتصل بالجغرافية السياسية المرتبطة بالاتفاقيات السياسية، وليس بالجغرافيا السياسية لفلسطين.

واستخدمت خارطة فلسطين للتدليل على الضفة الغربية دون تحديدها على هذه الخارطة، حتى وفق الجغرافيا السياسية المرتبطة بالاتفاقيات أو بدائرة الإحصاء المركزي، وهذا، تربوياً، يؤدي إلى خلط معرفي خاصة حين توضع العبارة التالية «أما الضفة الغربية (أنظر الخريطة في الصفحة التالية) فتبلغ مساحتها ٥٨٤٥ كم٢» (ص٢-٣). وحين النظر في الخريطة تجدها طبيعية مفتاحها يشير إلى الارتفاعات والأودية وغيرها، دون أي أشارة لمسماها (فلسطين)، وهذا قد يكون تهرباً للتحديد السياسي لفلسطين أولاً والضفة الغربية ثانياً، والاستناد هنا في الصياغة للمركز الجغرافي الفلسطيني دون التوضيح إذا كان ذلك لمساحة الضفة أو لمسماها السياسي!.

لكن من الواضح أن التركيز في الأراضي الفلسطينية بدأ يأخذ شكله الجيوسياسي، حيث التوضيح لسلسلة الجبال في الضفة الغربية فقط دون غيرها من فلسطين التاريخية، وعلى الشاكلة نفسها للسهول والأودية التي لا تظهرها خريطة فلسطين المستخدمة والتي تظهر جبل الكرمل وجبل الجرمق وجبال الجليل، ونهر المقطع ونهر العوجا، ولا تظهر الجبال الأخرى في الضفة إلا بمسمى المنطقة أو المدينة. وحين يتناول قطاع غزة يشير الكتاب إلى (انظر إلى الخريطة) دون أن يظهر من القطاع سوى مسمى غزة المدينة ووادي غزة الذي يمتد داخل فلسطين، مع ذكر مساحة القطاع، لكن دون الإشارة للمصدر في مساحته.

أما بخصوص اللمحة التاريخية فأجد نفسي ملزماً بالاقتباس دون التعليق، ليكون الفرد حراً في

التقييم، والعبارة تبدأ كالتالي « بقيت فلسطين بلداً عربياً خالص العروبة منذ تحرير العرب في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب في سنة ٦٣٦م»، (ص ٥) وبعد ذلك تتم الإشارة بسطرين للمغول والصليبيين، دون الإشارة للمحتوى التاريخي لخطورة ذلك على فلسطين، ويتم القفز لاستخدام صياغة «التسلسل اليهودي إلى فلسطين في أوائل العهد العثماني» ، ولم يشر لماذا ومتى وكيف تم ذلك، حيث استخدم مفهوم «الجالية اليهودية» دون تحديد المفهوم، وتبيان دلالاته، والفرق بين يهودي وصهيوني في عمليات الهجرة ما قبل المؤتمر اليهودي الأول في (بازل) وما بعده. وهذا يؤكد استخدام «الصليبيين» بدل الفرنجة، كما هو الحال في السياق التاريخي المستخدم لسرد اللمحة التاريخية لفلسطين. من جهة أخرى استُثني الفلسطينيون في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ من الإشارة التعدادية لهم، رغم أنه استخدم الإحصاء الإسرائيلي في تقييمات تعداد الضفة الغربية، ولم يتم الاسترشاد به في تعداد الفلسطينيين داخل فلسطين على الرغم من أن الإحصاء الإسرائيلي يظهرهم كأقليات.

ما سبق مجرد ملاحظات سريعة على الكتاب المرجعي للتربية السكانية في فلسطين، وأول التساؤلات إذا كانت فلسطين مدار الدراسة فلماذا لم تشمل كلها حين يتناول الموضوع السكان؟ ! في حين يشار في هذا الصدد إلى أن القائمين على الكتاب اعتمدوا تعريفاً محدداً للتربية السكانية في الصفحة (ج) البند الثاني مفاده: « ... ومن تعميق الإيمان بقدسية العلاقة المصيرية التي تربط الإنسان بالأرض» ! وإذا كانت الضفة وقطاع غزة قاعدة التربية السكانية في فلسطين، فما هو وضع المستوطنات؟ .

من الواضح أن الكتاب المرجعي في الإطار العام يستحق الثناء في أوجه، وفي أوجه أخرى بحاجة إلى مراجعة عامة، بحيث يقوم بذلك أصحاب الاختصاص في الجغرافيا والسكان والبيئة والصحة العامة والاقتصاد وغيرهم، لكنه ومن وجهة نظري أرى لزاماً أن يتم تحديد المفاهيم والمصطلحات المستخدمة، وإضافة تعريف لها حتى يكون المربي على بينة من أمره، ولا يخضع لتعدد الاجتهادات والتفسيرات التي قد لا تؤدي إلى تربية مرجعية سكانية فلسطينية. فالفلسفة العامة للتعليم الفلسطيني بحاجة إلى تحديد وتوظيف في المناهج التي يجب أن تغادر بيئتها من أجل خلق بيئة جديدة، لكن غريبة!!

عماد غياظة

كتب جديدة في مكتبة المركز

- عمار، حامد: في التنمية البشرية وتعليم المستقبل ط١ مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر ١٩٩٩.
- الصياد، أحمد: اليونسكو رؤية للقرن الواحد والعشرين ط١، دار الفارابي، بيروت ١٩٩٩.
- عبيدات، محمد: منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٩.
- عبد الهادي، نبيل: القياس والتقويم التربوي وأستخدامه في مجال التدريس الصفي ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٩.
- القمودي، سالم: سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٩.
- علي، سعيد اسماعيل: رؤية سياسية للتعليم ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٩.
- محسن، مصطفى: الخطاب الاصلاحي التربوي بين أسئلة الازمة وتحديات التحول الحضاري ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٩٩.

* Hallahan “Daniel P. learning Disabilities Allyn & Bacon” Boston 1996
* Day “Christopher Teachers & Teaching International Perspectives on School Reform Teacher Education Garant” Leuven 1997
* Loughran “John Opening the Classroom Door Teacher Researcher Learner” Falmer Press ” London 1996